فضائل مدينة حِمْص في كتب التراث العربي الإسلامي تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر أنموذجا

د. رائد أمير عبد الله

قسم الفلسفة / كلية الآداب

جامعة الموصل

الاستلام	القبول
2011 / 06 / 20	2011 / 12 / 08

Abstract

The importance of the city of Homs, not because of its geographical or historical landmarks, and urban... or the sanctity of having been inhabited by many of the companions of the Messenger of Allah (Peace be upon him) and set up and buried like the Arab commander Khalid ibn al-Walid... Or to mosques and religious landmarks... But what is far from this perspective... It's Gospel Messenger of Allah (Peace be upon him) and see the future about the virtues of this city, and its importance is indicated in the right of the conversations and the effects of the Messenger of Allah (Peace be upon him) it, and that reflect the religious dimension to the residents and fans...

With this in mind we have tried to shed in this research highlight the virtues of this ancient city, which extends its historical roots to about 5000 years, and received from the conversations and the effects on the importance and virtues in books, Arab and Islamic heritage, and we restrict ourselves to the history book Sakba model for these works, it is a history of Sakba one of this great inheritance, which included dozens of texts and prophetic traditions and historical novels about the virtues of the city of Homs, tracking the modern way of Sindh, where care such as caring for the news.

The research aims to uncover the stories contained in the virtues of the city of Homs through the history book Sakba.

As the axes of the study are located in Mbgesan with an introduction and a conclusion, I address the topic: the city of Homs in the books of

Arab and Islamic heritage, and addresses the second topic: The accounts received the virtue of the city of Homs through the history book Sakba. Praise be to God in the first and the Hereafter.

ملخص البحث

ترجع أهمية مدينة حمص ليس لموقعها الجغرافي أو لمعالمها التاريخية والعمرانية... أو لقدسيتها كونها قد سكنها العديد من صحابة رسول الله ﷺ وأقاموا ودفنوا فيها أمثال القائد العربي خالد بن الوليد ﷺ ... أو لمساجدها ومعالمها الدينية... فحسب بل ما هو ابعد من هذا المنظور... إنها بشارة رسول الله ﷺ ورؤيته المستقبلية عن فضل هذه المدينة، وتكمن أهميتها ما ورد في حقها من أحاديث وآثار عن رسول الله ﷺ عنها، والتي تعكس بعدها الديني على ساكنيها ومحبيها...

ومن هذا المنطلق حاولنا أن نسلط في هذا البحث الضوء على فضل هذه المدينة العريقة التي تمتد جذورها التاريخية إلى نحو من 5000 سنة، وما ورد من أحاديث وآثار حول أهميتها وفضلها من خلال كتب التراث العربي الإسلامي، واقتصرنا على كتاب تاريخ ابن عساكر كنموذج لهذه المؤلفات، إذ يعد تاريخ ابن عساكر واحداً من هذا الإرث العظيم الذي ضم العشرات من النصوص والأحاديث النبوية والروايات التاريخية عن فضل مدينة حمص، مقتفياً في ذلك طريقة المحدثين من حيث العناية بالسند كالعناية بالخبر.

يهدف البحث إلى الكشف عن الروايات التي وردت في فضائل مدينة حمص من خلال كتاب تاريخ ابن عساكر.

إذ أن محاور الدراسة تقع في مبحثين مع مقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول: مدينة حمص في كتب التراث العربي الإسلامي، ويعالج المبحث الثاني: الروايات التي وردت في فضل مدينة حمص من خلال كتاب تاريخ ابن عساكر.

ولله الحمد في الأولى والآخرة.

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وأصحابه أجمعين

أما بعد:

تأتي أهمية مدينة حمص كونها قد اكتسبت من موقعها التاريخي أهمية انعكست على جميع الجوانب الحضارية والثقافية، فهي من المعاقل الحضارية المهمة الإسلامية عبر مختلف العصور، وظهر اهتمام الخلفاء والصحابة بهذه المدينة في مختلف الحقب الزمنية في عهود الخلافة الأموية، والخلافة العباسية... وكانت هذه المدينة منبراً عربياً إسلامياً شامخاً أدت دورها

في الحياة الفكرية، قدمت عطاءً حضارياً ينبع من أصالة المدينة وعمق جذورها في التراث العربي.

ومما تقدم يطرح الباحث عدد من التساؤلات فيما يتعلق بهذه المدينة منها... ما هذه المصنفات التي تناولت فضائل مدينة حمص؟ وما طبيعتها؟ وما هي الروايات التي وردت في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر؟

ومن هذا المنطلق حاول الباحث أن يسلط في هذا البحث الضوء على فضل هذه المدينة العريقة، وما ورد فيها من أحاديث وآثار حول أهميتها وفضلها من خلال كتب التراث العربي الإسلامي، إذ أن البحث يعالج الكشف عن المصنفات التراثية التي تناولت فضل مدينة حمص، واقتصرنا على كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر بوصفه نموذجاً لتلك المصنفات، إذ يعد تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر واحداً منها والذي ضم العشرات من النصوص والأحاديث النبوية والروايات التاريخية عن فضل مدينة حمص، مقتفياً في ذلك طريقة المحدثين من حيث العناية بالسند كالعناية بالخبر.

يهدف البحث إلى الكشف عن الروايات والأخبار التي وردت في فضائل مدينة حمص من خلال كتاب تاريخ دمشق ابن عساكر كنموذج لتواريخ المدن.

أما محاور الدراسة فجاءت في مبحثين مع مقدمة وخاتمة.

تناول المبحث الأول: مدينة حمص في كتب التراث العربي الإسلامي.

أما المبحث الثاني فتناول: الروايات التي وردت في فضل مدينة حمص من خلال كتاب تاريخ ابن عساكر.

أما المنهج المتبع في الدراسة فلقد اعتمد الباحث على منهجية متكاملة من خلال المنهج المتعدد المداخل وذلك للإحاطة والإلمام بجوانب الموضوع. ونسأل الله أن يتقبل منا ما قدمناه، وان يكون هذا العمل في خدمة تراثنا العربي الإسلامي، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

المبحث الأول

مدينة حمص في كتب التراث العربي الإسلامي

أولاً: مدينة حمص:

قال أهل الاشتقاق: وَحَمَصَ الجرح يحمص حموصاً وَانْحَمَصَ ينحمص انحماصاً إِذَا ذَهَبَ وَرَمُهُ[1]، وأما انحمص بالحاء فهو من الحمص، ألا ترى أن الحمصة صغيرة مجتمعة ضامرة فهذا يشهد بأن الحرفين أصلان وأنه ليس أحدهما أصلا لصاحبه ولا بدلا منه[2].

هذا اقرب ما ذهب إليه اللغويين في معنى حمص، وذكره ياقوت الحموي أيضا في معجمه، والباحث يرجح هذا المعنى عن المعاني اللغوية لمادة حمص.

وعرّفها الجغرافيون بان مدينة حِمْص: هي بلد مشهور قديم كبير مسور، وفي طرفه القبلي (الجنوبي) قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب، بناها رجل يقال له: حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل حمص بن مكنف العمليقي[3]، وقيل: كان حمص وحلب وبردعة إخوة، فبنى كل واحد منهم مدينة سميت به[4]؛ وقال أهل السير: حمص بناها اليونانيون، وزيتون فلسطين من غرسهم[5].

وصفها القزويني بأنها: "مدينة بأرض الشام حصينة، أصح بلاد الشام هواء وتربة. وهي كثيرة المياه والأشجار، ولا يكاد يلدغ بها عقرب أو تنهش حية. ولو غسل ثوب بماء حمص لا يقرب عقرب لابسه إلى أن يغسل بماء آخر"[6].

قال ابن عتيق: ولها افتخار على البلدان إلا ما استثنى من مكة والمدينة وبيت المقدس، لأنهم مستثنين، فان مدينة حمص لها عادة تسكنها الاجواد رحمة من الله لها[7].

ووصفها أيضا بأنها: هي مولدي ومولد أبائي، وهي من أعدى البلاد وأطيبها، لكن لجور حكامها على أهلها تفرقوا في البلاد وصاروا أغرابا بين العباد، وتركوا الأهل والوطن والأولاد ليسلموا من العوارض والنزول والهموم والانكاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا مانع لما أراد.

بلادٌ بها نِيطت عَليّ تَمايمي وَأَولُّ ارضٍ مَسَّ جسمي تُرابها[8].

ثانياً: حمص في المؤلفات الإسلامية:

إن مدينة حمص كان لها مركزاً وموقعاً في التراث العربي الإسلامي ابتداءاً بمصادر السنة النبوية، فقد ورد ذكرها في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، وكان منها ما عدّ في صحاح الأحاديث بتوثيق العلماء، ومنها ما عدّ من الأحاديث التي تدخل في باب فضائل البلدان، والتي وضعت لغايات معينة في فترات وحقب زمنية مرت بها الأمة، وكان الدافع إلى التنافس بين حب العلماء لأوطانهم من أقوى الأسباب التي دعت إلى ذلك. فقد أشارت بعض الأحاديث النبوية الشريفة إلى المكانة الكبيرة التي تتمتع بها مدينة حمص، وازدادت هذه المكانة الروحية مكانةً وإجلالاً في نفوس العرب المسلمين كافة، ونشير هنا إلى أن الأحاديث النبوية الشريفة كانت وما زالت المصدر الثاني لكتب الفضائل.

فضلا عن أن مدينة حمص كانت موضع اهتمام علماء وفقهاء المسلمين بشكل واسع يتجاوز الحدود الجغرافية والزمنية للمدينة، مما يدل على أن المسلمين لم ينظروا إليها في أي حقبة باعتبارها مدينة أموية أو عباسية أو فاطمية أو أيوبية أو عثمانية... إلى آخر الدول الإسلامية التي كانت المدينة تتبعها من الناحية السياسية عبر العصور، بل كانت تعدّ مدينة إسلامية في المفهوم الشمولي الواسع للدولة العربية الإسلامية من مشرقها إلى مغربها.

اهتم المؤرخون في العصور الإسلامية بمدينة حمص فدونوا عدّة كتب في التاريخ لها وعُرف من هذه الكتب أسماؤها فقط، ولم يصل إلينا منها سوى شذور وردت في بطون بعض الكتب، ومن أهم كتب التراث العربي الإسلامي الذي تناول مدينة حمص، وقد رتبناها حسب تاريخ وفاة مؤلفيها:

1. تاريخ حمص[9]: يحيى[10] بن جابر بن حسان بن عمرو ابن ثعلبة بن عدي الطائي، الحمصي (أبو عمرو) (ت126هـ/744م)، مؤرخ، من القضاة.
2. تاريخ الحمصيين[11]: لأبي بكر أحمد[12] بن مُحمَّد بن عيسى البغدادي (كان حَيّاً قبل 257هـ/871م) نزيل حمص. ويتضح من العنوان أن هذا الكتاب يعتبر من التواريخ المحلية المتقدمة للمدينة سيما وان التواريخ المحلية لم تظهر لنا بشكل جلي وبصورة كتب متكاملة وصلنا منها نماذج إلا بعد القرن الرابع الهجري.
3. طبقات أهل حمص: لمحمود[13] بن إبراهيم بن سميع الدمشقي الحافظ المعروف بأبي القاسم أو أبي الحسن. وهو مؤرخ جليل عاصر أبا بكر (ت259هـ/873م). وهو كتاب في ذكر رجال حمص ومحدثيها ذكره ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة[14].
4. تاريخ من نزل حمص من الصحابة: لأبي بكر بن صدقه[15] المتوفي في أواخر القرن الثالث الهجري، وربما أن هذا الكتاب اختص بذكر الصحابة الذين وردوا المدينة بعد الفتوحات واستوطنوها، ذكره العسقلاني في كتابه[16].
5. معرفة الصحابة الذين نزلوا حمص[17]: لأبي القاسم عبد الصمد[18] بن سعيد الحمصي قاضي حمص (ت324هـ/936م) وهو كسابقه تاريخ محلي للمدينة الإسلامية يبتدأ بذكر الصحابة وتنتهي أحداثه الأولى بوفاة المؤلف، ذكره ابن حجر في الإصابة[19].
6. تاريخ حمص: عبد الغافر[20] بن سلامة الحمصي (ت 330هـ/942م).
7. تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر[21]، علي بن الحسين بن هبة الله (ت571هـ /1175م). كتاب مشهور تناول فضائل وعلماء وتراجم...مدينة دمشق، وكذلك تناول مدينة حمص.
8. غاية الحرص في جواب سؤال أهل حمص[22]: لابن طولون محمد[23] بن علي الشامي (ت953هـ/1546م)، رسالة أجاب فيه عن مسألة قبر سيدنا خالد بن الوليد ﷺ.
9. مقامة في المفاخرة بين حمص وحماه[24]: للرافعي، عبد القادر[25] بن عبد اللطيف بن عمر بن أبي بكر بن لطفي البيساري (ت1230هـ/1815م). وهو كتاب يدخل في ذكر فضائل البلدان والتي يقع في فرع منها في أدب المفاخرة بين المدن، وعكسها المثالب التي الفت في المدن، وقد اشتهر هذا الصنف من الكتب في القرن التاسع هـ. وهذا يدل على ظهور العصبية لأهل المدينة..

10. فضائل حمص:لابن عتيق، محمد[26] بن عبد العظيم الصديقي (ت1088هـ /1677م)، مخطوط برقم (4811) في مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز،هذا المخطوط يتناول فضل مدينة حمص ابتداءا بالتعريف بها، ثم يتناول بعض الأحاديث النبوية الواردة في فضلها، ثم يشرح أحد أشهر أحاديثها مبينا تخريجاتها.

ويرجح الباحث من خلال مطالعته للعناوين الخاصة بالمؤلفات المتعلقة بمدينة بحمص أن اغلبها قد اختص بذكر الصحابة الذين نزلوا المدينة في فترة مبكرة من تاريخها، زيادة على ذكر فضائل وطبقات رجالها من المحدثين وأصحاب الأخبار...

ثالثاً: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:

يعتبر كتاب "تاريخ مدينة دمشق" من كتب التراث العربي الإسلامي الضخمة التي نالت شهرة واسعة، وهذا ما دفع العلماء إلى اختصاره وشرحه...فمؤلفه عالم مشهور مؤرخ ومحدث جليل انتفع به العلماء من المشرق والمغرب، انه ذلك الشيخ العلامة ابن عساكر: وهو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقيّ (571هـ/ 1176م).

وقد ترجم في مصنفه لكل من دخل أو استوطن أو زار مدينة دمشق، واجتاز بنواحيها من العلماء والأكابر، وتوسع في عمله حتى ترجم للمشهورين والمغمورين من العلماء والرجال على أصناف أعمالهم ومهنهم. فرسم بذلك صورة لبلاد الشام من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في عصر ما قبل الإسلام، وصدر إسلامها، وفي العصر الراشدي، ثم العصر الأموي، وذهب بعيداً في عصر بني العباس وصولاً إلى القرن السادس الهجري، وانتهى الكتاب بوفاته سنة (571هـ/ 1176م)، قال ابن عساكر في مقدمة تاريخه: "وهو كتاب مشتمل على ذكر من حلها من أماثل البرية أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوي الفضل والمزيد من أنبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها ودراتها وقرائها ونحاتها وشعرائها ورواتها من أمنائها وأبنائها وضعفائها وثقاتها وذكر ما لهم من ثناء ومدح وإثبات ما فيهم من هجاء وقدح"[27].

يقع الكتاب في قسمين رئيسين، خص ابن عساكر القسم الأول منه بمدينة دمشق، فتحدث عنها حديثاً مستفيضاً:من اشتقاق تسميتها، ,فضائل أهلها، وطيب هوائها، وسنة افتتاحها، ثم شرف جامعها، وحصر مساجدها، زيادة على الأنهار المحتفرة بها، وتسمية أبوابها ونسبة هذه الأبواب. وذلك كله بعد أن ذكر اشتقاق اسم (التاريخ) ومبتدئه، وتطرق إلى تاريخ الهجرة النبوية، واشتقاق تسمية الأيام والشهور. تلك هي مقدمة التاريخ الكبير.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد ضمنه تاريخ بلاد الشام مقتفياً في ذلك طريقة المحدثين من حيث العناية بالسند كالعناية بالخبر. وحين ترجم للخلفاء والأمراء والقادة، لم يفته أن يسوق

تراجم المحدثين و الفقهاء والشعراء. متبعاً ترتيب الحروف العربية بادئاً بمن اسمه أحمد قبل من اسمه إبراهيم تبركاً بالرسول الكريم ﷺ ، واعتمد ابن عساكر في جمع مادة كتابه تاريخ مدينة دمشق الضخمة على ثلاثة أنواع من المصادر:

1- السماع من شيوخه وهم يعدون بالمئات روى عنهم وقرأ عليهم.
2- المكاتبة والمراسلة معهم.
3- الاعتماد على مؤلفات السابقين.

لقد بلغ عدد المؤلفين من غير شيوخ ابن عساكر (711) مؤلفا، وبلغ عدد المؤلفين من شيوخه (198) مؤلفا، في حين بلغ عدد الكتب التي اقتبس منها ابن عساكر حوالي الألف كتاب[28]، ولم يقتصر الحافظ ابن عساكر على التأريخ لمدينة دمشق فقط، بل تناول مدينة حمص أيضا فقد وردت آثار وأخبار في حق هذه المدينة....إذ يعتبر هذا الكتاب موردا رئيسيا أرخ لأحداث المدينة ورجالها، فقد جاءت عشرات الروايات والأخبار عن مدينة وأهل حمص، وذكر العديد من صحابة رسول الله ﷺ الذين دخلوا هذه المدينة ومن سكنها أو من توفى فيها...

وقد عمدنا إلى ذكر النصوص كاملة الخاصة بفضائل مدينة حمص، من اجل الوضوح للقارئ بالرغم من وجود تكرار في بعض النصوص اشرنا ذلك في الهامش.

المبحث الثاني

فضائل حِمص من خلال كتاب تاريخ مدينة دمشق

لقد بدأ أدب فضائل المدن في وصف ما يصح أن يسمى بالفضائل أو المحاسن أو المناقب للمدن، أي دراسة لطبيعتها الجغرافية، ومحاسن سكانها، وطبائعهم، وخاصة المدن المقدسة الإسلامية في القرن الثاني الهجري، ولقد اكتمل شكل هذا النمط في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فجمعت من الآيات، والأحاديث النبوية الشريفة، والحوادث المبثوثة في كتب التاريخ والجغرافيا، والقصص الدينية التي انتشرت من ذلك القرن. وأخذت روايات الفضائل تتركز في مدن بعينها مثل مكة، والمدينة، والقدس، والكوفة، ودمشق، والإسكندرية، وفضائل هذه المدن أصبحت تعني في المقام الأول فضائلها الدينية، وأصبحت كتب الفضائل مجموعة من المقتطفات من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والقصص، والروايات التي قيلت في مدح المدن، وتتضمن أيضاً وصفاً لما فيها من مشاهد كالمساجد والمزارات المقدسة[29].

وبلاد الشام عامة ومدينة حمص خاصة قد نالها الاهتمام أيضا في هذا الباب، ووردت في حقها أحاديث وأخبار، وما جاء في حقها من الفضائل ورد من خلال كتاب (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر، وبالرغم من أن عنوان الكتاب يوحي أن المصنف يتناول تاريخ مدينة دمشق

حصراً، إلا انه تناول مدينة حمص أيضا، وروى فيها أحاديثاً عن رسول الله ﷺ، وأخباراً، وروايات خصت بفضل هذه المدينة، وذكر من دخلها من الصحابة...، ويمكن سرد أهم الروايات التي وردت في حق مدينة حمص من تاريخ ابن عساكر بما يأتي:

1) مدينة حمص هي المدينة التي نزل فيها أصحاب رسول الله ﷺ وسكنوها: "عن أرطأة بن المنذر، حدثني أبو الضحاك قال: أتيت ابن عمر فسألته أين نزل، قال إلى الناصية الأولى من أصحاب رسول الله ﷺ ساروا بأمر رسول الله ﷺ حتى نزلوا الشام، ثم نزلوا حمص خاصة، فانظر ما كانوا عليه"[30].

2) شبهت مدينة حمص برأس الرأس، "عن علي بن أبي طلحة عن كعب قال: إِنَّ الله تعالى خلق الدنيا بمنزلة الطائر فجعل الجناحين المشرق والمغرب، وجعل الرأس الشام، وجعل رأس الرأس حِمْصَ، وفيها الْمِنْقَارُ فإذا نقص المنقار، يَتَأَفَّفُ الناس، وجعل الْجُؤْجُؤَ دمشق، وفيها القلب فإذا تحرك القلب تحرك الجسد، وللرأس ضربتان:ضربة من الجناح الشرقي وهي على دمشق،وضربة من الجناح الغربي وهي على حمص، وهي أثقلها، ثم يقبل الرأس على الجناحين فَيَنْتِفُهُمَا ريشة ريشة"[31].

3) اعتبرت مدينة حمص هي إحدى المدن من مدائن الجنة التي بشر بها الرسول ﷺ، "عن كعب الأحبار أنه قال: "خمس مدائن من مدائن الجنة[32]: بيت المقدس، وحمص، ودمشق، وبيت جبرين[33]، وظفار[34] اليمن؛ وخمس مدائن من مدائن النار القسطنطينية، والطوانة[35]، وأنطاكية، وتدمر، وصنعاء صنعاء اليمن"[36]، وفي رواية أخرى عن يزيد بن عبد الله الخولاني، عن كعب يعني الأحبار أنه كان يقول: "خمس مدائن من مدائن الجنة، وخمس مدائن من مدائن النار، فمدائن الجنة حمص، ودمشق، وبيت المقدس، وبيت جبرين، وظفار زاد الفقيه ظفار، وقالا اليمن، ومدائن النار قسطنطينية، وعَمّورية[37]، وأَنْطاكية[38]، وتدمر، وصنعاء صنعاء اليمن"[39].

4) ما جاء في أن أهل حمص يدخلون الجنة منهم سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، "عن عروة بن رويم أن رجلا لقي كعب الأحبار فسلم عليه ودعا له، فسأله كعب ممن هو؟ قال: من أهل الشام، قال: لعلك من الجند الذين يدخل الجنة منهم سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، قال: ومن هم؟ قال: أهل حمص، قال: لست منهم، قال: فلعلك من الجند الذين يعرفون في الجنة بالثياب الخضر، قال: ومن هم؟ قال: أهل دمشق، قال: لست منهم، قال: فلعلك من الجند الذين هم تحت ظل عرش الرحمن، قال: ومن هم؟ قال: أهل أردن، قال: لست منهم، قال فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم في كل يوم مرتين قال، ومن هم قال أهل فلسطين، قال نعم أنا منهم"[40].

5) ما جاء في أهل حمص الذين يشفع شهيدهم لسبعين، "عن عروة بن رويم قال: أبصر كعب رجلاً، فقال: من أنت؟ قال: من أهل الشام، قال: لعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم لسبعين، قال: ومن هم؟ قال: أهل حمص، قال: لا، قال: فلعلك من الذين يعرفون في الجنة بلباس الخضر، قال: من هم؟ قال: أهل دمشق، قال:لا، قال: فلعلك من الجند الذين في ظل عرش الله عز وجل يوم القيامة، قال: من هم ؟ قال: أهل الأردن، قال: لا، قال: فلعلك من الجند الذين يلحظ ربك إليهم في كل يوم مرتين، قال: من هم؟ قال: أهل فلسطين، قال: نعم[41]؛ وفي رواية أخرى عن كعب أنه لقي رجلا فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل الشام، فقال له كعب: فلعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم في سبعين، قال: ومن هم؟ قال: أهل حمص، قال: لا، قال: فلعلك من الجند الذين يعرفون في الجنة بثياب الخضر، قال: ومن هم؟ قال: أهل دمشق، قال: لا، قال: فلعلك من الجند الذين في ظل العرش، قال: ومن هم؟ قال: أهل الأردن، قال: لا، قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله عز وجل إليهم كل يوم مرتين، قال: ومن هم ؟ قال: أهل فلسطين، قال: نعم"[42]

6) مدينة حمص يظهر فيها (الابدال)[43] وهم أكثر عددا من غيرهم، "عن الوليد بن كامل البجلي قال: سمعت الفضيل بن فضالة يقول: إن الأبدال بالشام في حمص خمسة وعشرون رجلا، وفي دمشق ثلاثة عشر، وببيسان[44] اثنان"[45]

7) أهل حمص أصحاب سنة، "قال أبو الحسن الميموني قال: وذكر أبو عبد الله يعني أحمد كورة من نحو الشام فقال: قدرية، ويتكلمون به في مساجدهم، ويتعرضون للناس، ولكن أهل دمشق، وأهل حمص خاصة أصحاب سنة، وهم إن رأوا الرجل يخالف السنة أخرجوه من بينهم. كانت حمص مسكن ثور بن يزيد، فلما عرفوه بالقدر أخرجوه من بينهم فسكن بيت المقدس"[46]

8) بشارة لأهل حمص في آخر الزمان بأنهم اسعد الناس بالرايات السود (هم قوم يخرجون من خراسان)[47]، "عن جنادة بن مروان عن أبيه سمعت الأشياخ يقولون: أسعد الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل حمص، وأشقا الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل دمشق"[48].

9) حمص من المدن الرئيسية التي تجلب إليها أنظار الخلفاء والملوك والأمراء. "عن إبراهيم بن هشام بن يحيى حدثني أبي عن جدي قال: لما استخلف عبد الملك بن مروان طلب من خالد بن يزيد بن معاوية شري الخضراء، وهي دار الإمارة بدمشق، فابتاعها منه بأربعين ألف دينارا، وأربع ضياع بأربعة أجناد الشام اختارهن، فاختار من فلسطين عمواس[49] ومن الأردن قصر خالد، ومن دمشق أندر، ومن حمص دَير[50] زكّي"[51].

10) بشارة لأهل حمص يدخل منهم سبعين ألفا يوم القيامة الجنة بدون حساب. "عن حمرة بن عبد كلال قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ من مدينة بالشام يقال لها حِمص سَبْعِينَ أَلْفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ فِيمَا بَيْنَ الزَّيْتُونِ والحائط فِي الْبَرْثِ الْأَحْمَرِ"[52]، وفي رواية أخرى: سار عمر بن الخطاب إلى الشام بعد مسيره الأول كان إليها حتى إذا شارفها، وفي حديث ابن السمرقندي حتى شارفهم بلغه ومن معه أن الطاعون فَاشٍ فِيهَا، فقال له أصحابه: ارجع ولا تقحم عليهم، فلو نزلتها وهو بها، لم نر لك الشخوص عنها، وانصرف راجعا، وعرس من ليلته تلك، وأنا أقرب القوم منه؛ فلما انبعث معه في إثره فسمعته يقول: ردوني عن الشام بعد أن شارفت عليها لأن الطاعون فيها، وفي حديث ابن السمرقندي عليه لأن الطاعون فيه ألا وما منصرفي عنه بمؤخر في أجلي، ولا كان قدوميه معجلي؛ وفي حديث ابن السمرقندي بمعجل عن أجلي، فلو قدمت المدينة ففرغت من حاجات لا بد لي منها لقد سرت حتى أحل الشام حتى أنزل حمص، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبعثن الله منها يوم القيامة سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب عليهم مبعثهم فيما بين الزيتون وحائطها في البرث الأحمر"، منها خالفه غيره في الإسناد، وعن أبي راشد قال: سافرنا مع عمر بن الخطاب آخر سفرة إلى الشام، فلما شارفها أخبر أن الطاعون فيها فقيل له: يا أمير المؤمنين ما ينبغي أن تهجم عليه كما أنه لو وقع وأنت فيها ما كان لك أن تخرج عنه ؛ فرجع متوجها إلى المدينة قال: فبينا نحن نسير من الليل إذ قال لي اعرض عن الطريق فأعرض، وأعرضت فنزل عن راحلته، ثم وضع رأسه على ذراع جمله فنام، ولم أستطع أن أنام، ثم أنشا يقول ما لي ولهم ردوني عن الشام ثم ركب، فلم أسأله عن شئ حتى ظننا أن مخالطو الناس، قلت له: لمَ قلت ما قلت حين انتبهت من نومك؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبعثن الله من بين حائط حمص والزيتون في البرث الأحمر سبعين ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب"، ولئن رجعني الله من سفري هذا لأحتملن عيالي وأهلي ومالي حتى أنزل حمص، فرجع من سفره ذلك فقتل"[53].

11) ما جاء في أن مدينة حمص فتحت صلحا بدون قتال وهذا يدل على حكمة أهلها، "قال ابن إسحاق: وغيره، وفيها يعنون سنة أربع عشرة فتحت حمص، وبعلبك صلحا على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة؛ ويقال في سنة خمس عشرة"[54].

من خلال متابعة سردنا للروايات والأخبار المتعلقة بفضائل هذه المدينة العريقة في تاريخها، وتوثيق هذا السرد بتخريج المعتمد على روايات الحديث وتوثيقها وتخريجها من كتب السنن لوحظ أن بعضها ورد في كتب الصحاح كالمستدرك على الصحيحين، أو أقرب ما ورد منها للصحة كالطبراني في مسنده... وان هذا يدل على أن لهذه المدينة مكانة دينية جسدتها الأحاديث النبوية بما كان منها حسنا أو ضعيفا..، ويؤكد تلك المكانة السامية لولاها لما ذكرت

مدينة حمص إحدى مدائن الجنة، والدليل على ذلك أن اغلب المدن التي ورد ذكرها على مدائن الجنة يقع اغلبها بالشام، فضلا عن مكانة المدينة من حيث وجود مدافن العديد من الصحابة بعد الفتح الإسلامي، ويمكن ربط ذلك من خلال الأحاديث الواردة بكونها مدينة حمص إحدى الأجناد الهامة التي كانت منطلقا لفتح بلاد الشام، كذلك نجد ما يربط الكلام لما تقدم عن ذكر الأجناد ما يدل على قوة أهل حمص وجلدتهم في الذود عن حما الدين الإسلامي، وتمسكهم بتطبيق السنة النبوية الشريفة؛ ذلك أن أهلها كانوا من أوائل السنة الذين اتسموا بالحكمة والفطنة أبان فتح المدينة بالدين الجديد (الإسلام)، فضلا عن أن أهل هذه المدينة يدخل منهم سبعين ألفا بدون حساب أو يشفعون... وغيرها من الأحاديث التي تؤكد على التزامهم بتطبيق السنة النبوية، والتزامهم بالشريعة الإسلامية، وأنهم أنقى الناس قلوبا، ويأتي حديث الابدال الذي يشير على أنهم أكثر رجالات التصوف رتبة موجودين في هذه المدينة.

وأخيرا نجد ذكرا لأهمية الموقع الجغرافي للمدينة مرد ذلك أننا نجد بعض الخلفاء قد اهتموا بانتقاء بعض الأراضي التي امتازت بوفرتها من الناحية الاقتصادية، وما تمتلكها من ثروات زراعية واقتصادية، سيما أنها ارتبطت ببعض المراكز الدينية كالأديرة..

وختام هذه الروايات تحدثت عن مدينة حمص هي إحدى المدن التي وردت عنها الأخبار في آخر الزمان بكونها كانت وستكون المنطلق لأهل الرايات السود وهم أسعد الناس بهم، وهذا يشير إلى دلالة اكبر أنهم سيكونون من أتباع المهدي الذي بشرت به الأحاديث النبوية الشريفة.

وكل هذه الروايات تؤكد لنا على فضل المدينة وأهلها خاصة في الجانب الديني.

الخاتمــة

وما هذه الورقة إلا أنموذج دال على ما خصت به هذه المدينة من بين بقية المدن، أو أن نتعرف من خلال المؤلفات التي ظهرت في فضائل المدن كفضائل الإسكندرية لأبي علي بن الصباغ، ومناقب بغداد لابن الجوزي، وفضائل بغداد ليزدجرد بن مهمندار... إلا انه لم نسمع عن فضائل مدينة حمص من خلال المؤلفات أو الروايات الدينية والأخبار التاريخية.....، ويمكن أن نلخص أهم النقاط التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

1) لقد جسدت مدينة حمص مثالا رائعا للمدن العربية والإسلامية التي جمعت بين طيات جدرانها، وفضل أهلها ما يمكن أن نعده وحدة متكاملة، ومثالاً يحتذى به للمدن العربية الإسلامية ذات الطابع الشمولي التي ذكرت في كتب التراث العربي الإسلامي بما امتازت هذه المدينة من كونها ليست مجرد مدينة من مدن الشام وحسب، بل إنها من الأماكن الدينية المقدسة، نقول ذلك وبحق دون مبالغة أو إسراف بحق باقي المدن، بما امتلكته من صفات تدل على فضائلها، وما ورد مسطرا عنها بما تقدم ذكره من رجالها (أهل

حمص..علماء حمص) الذين ألفوا في ذلك المصنفات التي تمحورت في ثلاثة اتجاهات منها: ما خص بذكر صحابتها، وأخرى تختص بذكر رجالها، وتارة ترد المصنفات على تاريخ المدينة وفضائلها...

2) اهتمام العلماء بمدينة حمص في مصنافاتهم، فدونوا عدّة كتب في التاريخ لها وعُرف من هذه الكتب أسماؤها فقط، ولم يصل إلينا منها سوى شذور وردت في بطون بعض الكتب.

3) نالت المدينة مكانة مرموقة بما ورد عن ذكر فضائلها مجسدة في تلك الأحاديث النبوية، والروايات التي جسدت لنا أخبار هذه المدينة، حتى أننا يمكننا أن نعدَّ مدينة حمص من المدن التي يشار إليها بحسن الفضائل الخاصة بالمدن.

4) يعد كتاب تاريخ مدينة دمشق من الكتب التراثية المهمة، ومصدرا مهما لمدينة حمص التي تناول فيها العديد من الأخبار والروايات عن فضل هذه المدينة.

الهوامش

1) الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم (ت328هـ/940م)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت/1992م)، 91/2.

2) ابن جني: أبي الفتح عثمان (ت392هـ/1002م)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: د.حسن هنداوي، ط1، دار القلم، (دمشق/1985م)،1/ 184.

3) ياقوت: أبن عبد الله الحموي (ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت/د.ت)، 302/2.

4) ابن عتيق: محمد بن عبد العظيم الصديقي (ت1088هـ/1677م)، فضائل حمص، مخطوط برقم (4811) في مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، الورقة (2– أ).

5) ياقوت، معجم البلدان، 302/2.

6) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت /د.ت)، ص184.

7) ابن عتيق، فضائل حمص، الورقة (2– أ).

8) المصدر نفسه، الورقة (3– ب).

9) كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، (بيروت /د.ت)، 13/ 188.

10) ينظر ترجمته: المزي: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (ت742هـ/1341م)، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت/1980)، 249/31.

11) ذكره الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت 463هـ/1071م)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت/د.ت)، 63/5.

12) ينظر ترجمته: ابن عساكر علي بن الحسين بن هبة الله (ت571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/1995م)، 433/5.

13) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد إدريس (ت327هـ/939م)، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، (بيروت/د.ت)، 8/ 292.
14) ابن حجر:أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت852هـ/1449م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، (بيروت/1991م)، 272/1.
15) لعلّه ابن صدقة، الإمام الحافظ المتقن الفقيه، أبو بكر، أحمد بن محمد بن عبد الله ابن صدقة البغدادي (ت293هـ/906م)، ينظر ترجمته: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد، ط9، مؤسسة الرسالة، (بيروت/1993م)، 83/14.
16) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت852هـ/1449م)، تهذيب التهذيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/1984م)، 168/11.
17) ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1449م)، المعجم المفرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تحقيق محمد شكور الميادیني، مؤسسة الرسالة، (بيروت/1998م)، ص168؛ إسماعيل باشا: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت1339هـ/1920م)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، (استانبول /1951م)، 136/2.
18) الزركلي: خير الدين الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، دار العلم للملايين، (بيروت/1980م)، 10/4.
19) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 30/3.
20) ينظر ترجمته: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 11/ 136.
21) ينظر ترجمته: السبكي: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت 748هـ/1347م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود.عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م/1992م)، 296/8.
22) حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ/1657م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث، (بيروت/د.ت)، 1191/2.
23) ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 6/ 291.
24) إسماعيل باشا: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت1339هـ/1920م)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت/د.ت)، 539/2.
25) ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 40/4.
26) عالم نحوي، له اشتغال في التفسير، حمصي، نزل بمصر.وصنف كتبا، منها (نتيجة الفكر في إعراب أوائل السور– خ) في دار الكتب، و(نخبة البيان فيما وقع من التكرير في القرآن). ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 6/ 210.
27) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 1/ 5.

28) الدعجاني: طلال بن سعود، موارد ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ط1، الجامعة الإسلامية، (المدينة المنورة/2004م)، 13/1.

29) العسلي: كامل جميل، مخطوطات فضائل بيت المقدس، ط2، دار البشير، (عمان/1984م)، ص3.

30) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق،99/1؛ والطبراني:سليمان بن أحمد بن أيوب (ت360هـ/971م) في مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت/1984م)، 407/1 برقم (706).

31) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 192/1؛ والمروزي: نعيم بن حماد أبو عبد الله (ت288هـ /901م) في كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، ط1، مكتبة التوحيد، (القاهرة/1991م)، 236/1.

32) المدن التي ذكرها الرسول ﷺ هي أربعة: ما جاء عن عن شريح بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: "أربع مدائن من مدائن الجنة وأربعة أنهار من أنهار الجنة وأربع مدائن من مدائن النار فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء اليمن وأما مدائن النار فأنطاكية وعمورية والقسطنطينية وظفار اليمن وأما أنهار الجنة فالنيل والفرات وسيحان وجيحان". أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، 2/ 106.

33) بليد بين بيت المقدس وغزة وبينه وبين القدس مرحلتان. ياقوت، معجم البلدان، 519/1.

34) ظَفارِ: مدينة باليمن في موضعين إحداهما قرب صنعاء، وقد قال بعضهم إن ظفار هي صنعاء نفسها ولعل هذا كان قديما فأما ظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مرباط خمسة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، 60/4.

35) طُوانة: بلد بثغور المصيصة بين أنطاكية وبلاد الروم. ياقوت، معجم البلدان 45/4.

36) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 222/1.

37) عَمّورية: بلد في بلاد الروم. ياقوت، معجم البلدان، 4/ 158.

38) أنْطاكية: مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص150.

39) أخرجه ابن عساكر، تاريخ دمشق،223/1. قال الألباني: حديث موضوع في إسناده الوليد بن محمد الموقري. ينظر: الربعي ابو الحسن علي بن محمد (ت444هـ/1052م)، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (الرياض/2000م)، ص39.

40) أخرجه ابن عساكر، تاريخ دمشق، 275/1. وجاء الحديث بنفس المعنى وبألفاظ مختلفة عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبعثن الله من مدينة بالشام يقال لها: حمص تسعين ألفا لا حساب عليهم ما بين الزيتون والحائط والبرت الأحمر" رواه البزار وفيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف. الهيتمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي (ت807هـ/1405م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر،(بيروت/1991م)، 10/ 754.

41) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 276/1؛ والمروزي في الفتن، 1/ 248.

42) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 277/1.

43) الأبدال: جمع بدل وهم طائفة من الأولياء، قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم. المناوي: محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر، (بيروت/1989م)، ص29.

44) بَيْسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي ويقال هي لسان الأرض وهي بين حوران وفلسطين. ياقوت، معجم البلدان،527/1.

45) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 299/1؛ والحلبي علي بن برهان الدين (ت1044هـ/1634م)، السيرة الحلبية، دار المعرفة، (بيروت/1400)، 389/3 وزاد عليه وفي رواية عن حذيفة بن اليمان الأبدال بالشام ثلاثون رجلا على منهاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ وذكره العجلوني إسماعيل بن محمد الجراحي (ت1162هـ/1749) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار الكتب العلمية، (بيروت /1988م)،27/1.

46) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 325/1.

47) الرايات السود جاءت في عدة أحاديث نبوية منها: عن ثوبان رضي الله عنه قال: "إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها و لو حبوا فإن فيها خليفة الله المهدي". أخرجه الحاكم في المستدرك، 547/4 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

48) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 216/2، 441/21؛ والمروزي في كتاب الفتن، 1/ 210.

49) كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس. ياقوت، معجم البلدان، 157/4.

50) دير بالرها بإزائه تل يقال له تل زفر بن الحارث الكلابي وفيه ضيعة يقال لها الصالحية اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمي. ياقوت، معجم البلدان، 512/2.

51) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 359/2.

52) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 180/15؛ والطبراني في[مسند الشاميين، 93/3؛ وقال الذهبي: منكر جدا، وأورده أيضا ابن الجوزي في الواهيات وقال: لا يصح فيه أبو بكر بن سليمان بن عبد الله العدوي متروك. ينظر: البرهان فوري علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت975هـ /1567م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، ط5،مؤسسة الرسالة، (بيروت/1981م)، 144/14.

53) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 182/15، 476/25؛ هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلق الذهبي قي التلخيص: بل منكر. ينظر: الحاكم: محمد بن عبدالله النيسابوري (ت405هـ/1015م)، المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت/1990م)، 95/3.

54) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 140/2.